

الدمار وإعادة الإعمار



حمص

وثيقة توجيهية 11

الدمار وإعادة الإعمار:

كيف أصبح التعافي الحضري جزءاً لا يتجزأ من الصراع والحرب

الطبيعي لتلك المدن، ولكن تم أيضاً مسح الثقافات الحضرية الغنية والمتنوعة والطويلة الأجل.

العواقب طويلة الأجل الناجمة عن الدمار الحضري

تكون عملية إعادة الإعمار معقدة في كثير من الحالات وتظل المناطق الحضرية الكبيرة في حالة خراب لسنوات. في مدينة الموصل (العراق)، تعتبر معظم المنطقة غرب النهر غير مأهولة، على الرغم من وجود حياة طبيعية نسبياً شرق النهر. ونتج عن هذا التباين مدينة مقطوعة وغير متوازنة. على الرغم من أن ثلاثة من الجسور الخمسة في المدينة قد أعيد بناؤها، إلا أن العديد من البنى التحتية الأساسية لا تزال غير صالحة للعمل. وتعد عملية إزالة الحطام وإعادة التدوير المثالية لهذا الحطام أمراً شاقاً للغاية، ويقدر المنتدى العربي للبيئة والتنمية حجم الحطام في مدينة الموصل بمقدار 11 مليون طن، بعضها مفخخ أو مخلوط بذخائر غير منفجرة. ومع ذلك، يشير المنتدى العربي للبيئة والتنمية أيضاً إلى أن عملية إعادة التدوير ستوفر 30% من تكلفة الإزالة الكاملة.

وتعتبر المشاكل الأخرى مستعصية وبعيدة المنال، مما يجعل الحلول المباشرة أقل منطقية أو حتى سطحية. الصراع المسلح يؤدي إلى تقاوم الانقسامات العرقية والدينية. إذ أصبحت الانقسامات والاضطرابات الاجتماعية غير المعترف بها في السابق عبر المدن واضحة بعد توقف عمليات القتال الرئيسية. وقد تسبب التحالفات

يعد التدمير في المدن وتدمير المدن بسبب الصراع البشري في أسوأ مستوياته منذ الحرب العالمية الثانية. أصبحت المدن ساحات رئيسية للمعارك، ويمزق الدمار على نطاق واسع أماكن عديدة مثل حلب والرقّة ومصراتة وغزة والموصل ودونيتسك ومرأوي وقبلها تمبكتو وسراييفو وبيروت. وقد أوضح مشروع الصراع في المدن ومركز أبحاث النزاعات الحضرية أبرز العوامل التي تعيق أو تدعم جهود إعادة الإعمار المسؤولة في المدن التي تعاني من صراع حاد أو طويل الأمد.

وخلال السنوات الأخيرة من القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، أصبحت الصراعات غير محددة المدة وتميل إلى إشراك السكان المدنيين والأفراد شبه العسكريين أكثر من الجيوش التقليدية. وفي الوقت ذاته، أصبحت المدن، التي غدت أكثر اكتظاظاً بالسكان وشهدت تنوعاً كبيراً في هويتها العرقية والدينية، هي الساحات الرئيسية لخوض الحروب والصراعات الممتدة.

وعلى الرغم من أن الأهداف العسكرية والاستراتيجية قد تتعرض للهجوم، إلا أن الأعمال العدائية غالباً ما تتصاعد تدريجياً كأعمال تدمير عشوائية وعلى نطاق واسع في المناطق الحضرية الكبيرة – كالمناطق السكنية والثقافية والتجارية والمدنية. ويتم تحطيم البنية التحتية الحضرية بانتظام وعن عمد. وفي بعض المدن، يتم هدم المباني مبنياً بعد الآخر، وبذلك، لم يتم فقط القضاء على النسيج

الاستنتاجات الرئيسية للسياسة

- إعادة الإعمار قد تساعد في التعافي لكنها قد تولد أيضاً موجات جديدة من العداوة والانقسام.
- يعتبر التوقيت جانباً حاسماً في الممارسات المكانية لإعادة الإعمار. ما يسمى بالحلول المؤقتة تحتاج إلى تقييم على المدى الطويل، والتي قد تصبح واقعا.
- تشارك مجموعة واسعة من الجهات في إعادة إعمار المدن المدمرة، ولكن يجب اعتبار السكان المحليين أصحاب المصلحة الأساسيين.
- يمكن أن تكون إعادة الإعمار فعالة كتعاون بين مختلف الأطراف ذات القدرات والوسائل المختلفة – المحلية والدولية والإقليمية والعالمية.
- يجب نشر وإعلان إعادة الإعمار الناجحة في السابق ومقارنتها من أجل تبادل الأساليب والممارسات.

وتشمل الأهداف الرئيسية المؤسسات الحضرية مثل الأسواق والساحات الرياضية ومحطات الحافلات، وكذلك الهياكل التجارية والأماكن العامة. في بغداد، تم قصف شارع المتنبى ليس فقط بسبب الحشود الذين تجمعوا هناك لشراء الكتب من متاجرها وأكشاكها الكثيرة، بل لأنه كان المكان الذي يختلط فيه الناس، ما يجذب السكان السنة والشيعية.

أثناء الحرب الأهلية اليوغوسلافية، أحرقت المكتبة الوطنية بسرانيو، والتي كانت تشكل رمزاً للأعراق المختلطة في المدينة؛ هوجم الماركيل أو السوق الرئيسي مرتين وحتى نقطة تجميع المياه العذبة - مكان اجتماع آخر خلال الحرب - تعرضت للقصف. في حلب وغيرها من المدن السورية، قُصفت المستشفيات مراراً وتكراراً، إلى حد تم وصفها من قبل مسؤولي الرعاية الطبية بأنها "تسليح للرعاية الصحية".

ويشكل هذا الدمار أنماطاً متسقة في مجموعة متنوعة من المدن. يتم تدمير الهياكل المدنية العادية من أجل القضاء على ما يعتبر سكان غرباء. إن التدمير على نطاق واسع للمباني السكنية لا يفرض النزوح فحسب، بل يحرم السكان أيضاً من أي دور محلي في إعادة بناء أحيائهم. إن تدمير المباني العامة والشوارع والساحات يدمر الأماكن في المدينة التي كانت تمكن الناس من الاجتماع ومناقشة أمورهم والمشاركة في خطط الانتعاش، أو حتى مجرد تجربة تنوع مدينتهم.

العمليات الغامضة لإبادة المدينة

قد يتم حجب الخصائص الرئيسية لعمليات قتل المدينة - التدمير المادي المتعمد، واستهداف ثقافة حضرية معينة، واستخدام التدمير الحالي لتحقيق الأهداف المستقبلية - من خلال ادعاءات أخرى. مع عدم التقليل من الأضرار التي يمكن أن يسببها الإرهاب، فقد استخدمت مكافحة الإرهاب في بعض الأحيان لتبرير تدمير المدن.

في الفلبين، تم طمس مدينة مراوي التاريخية ذات الأغلبية الإسلامية الكبيرة في حرب عام 2017 للقضاء على خلية إرهابية محلية يعتقد أنها متعاطفة مع داعش. تم إجلاء السكان المحليين وبعد عامين، ما زالت المدينة في حالة خراب ومهجورة. ومن غير الواضح ما إذا كانت الخلية الإرهابية قد هُزمت أم أنها ببساطة قد اختفت. يتم استشارة السكان المحليين إلى الحد الأدنى، على كل حال، حول خطط إعادة البناء.

وفي حالات أخرى، يتم استهداف ما يسمى بالمناطق "المخالفة للقانون" أو "غير الرسمية" في الحرب من أجل تشريد المجتمعات من عرق أو طائفة أو اتجاه سياسي معين. بمجرد أن تتضرر المناطق الحضرية بشدة، يبدو الهدم الكامل وإعادة البناء كالبديل الأكثر كفاءة والأقل تكلفة. ويمكن أن يؤدي مثل هذا السيناريو المتمثل في الهدم وإعادة البناء إلى تحول ليس فقط من الناحية المعمارية، بل أيضاً السكانية. وينتج عن ذلك مرة أخرى فقدان الثقافة الحضرية.

والتجمعات الجديدة إلى تكوينات حضرية مختلفة، ومن أجل معافاة أفضل أو أسوأ، فإن ذلك لا يعني بالضرورة العودة إلى الأنماط القديمة.

أجهزة الأمن وعمليات الاقتحام العدائية قد يكون لها على المدى الطويل تأثيرات مماثلة على المدينة. ويكافح المدنيون العاديون مع البنى التحتية الجديدة للصراع، بما في ذلك الأسوار والجدران ونقاط التفيتش والمناطق المحصورة وأنظمة الطرق المنفصلة، فضلاً عن الأراضي المحظورة، والمناطق العازلة، والأحياء المحاصرة والمناطق المتعطلة عن العمل. في بغداد، اختار السكان سلك طرق جانبية على بُعد عدة كيلومترات حول المدينة بدلاً من القيادة عبر مركز خطير أو التعرض للاعتقال في أحد نقاط التفيتش العديدة.

قد يكون المقصود من هذه التدخلات في المناطق الحضرية أن تكون مؤقتة ولكنها تصبح طويلة الأجل أو دائمة بحيث تملأ الحياة اليومية بالواجب المفروضة. وفي الوقت نفسه، يُعد تغيير الخطوط الأمامية للنزاع باستمرار بسبب ديناميكيات القوى المتغيرة أمراً خطيراً. توضح إحدى نساء مدينة حمص مدى صعوبة الانتقال من منزلها إلى العمل، حيث يتعين عليها المرور عبر منطقة مدمرة بشكل كبير. تسود الحياة اليومية حالة من عدم اليقين. استئناف الاستمرارية الحضرية - في التنقل، والروابط الاجتماعية، والإنتاجية الاقتصادية، والنشاط الثقافي - بطيء وغير فعال وتقل احتمالات التفاعل بشكل كبير في جميع أنحاء المدينة.

استهداف الثقافة الحضرية والحياة اليومية

في الحرب الحضرية، قد يكون التدمير والضرر أمراً لا مفر منه ولكنه يشير إلى عدد متزايد من حالات الاستهداف المتعمد لمواقع وقطاعات محددة من أجل تدمير هوية حضرية معينة. ويشار إلى ذلك بالأوربيسايد، والتي تستخدم غالباً على أنها إبادة للمدن، كحرب ضد بعض الثقافات ومحاولة لتدمير وطمس لتجربة المناطق وذاكرتها.

في العقود الأخيرة، فإن تدمير مدن نمرود التاريخية في العراق، وتدمير وحلب في سوريا، وتدمير ستاري موس، الجسر البوسني التاريخي، وجامع النوري في الموصل، وأجزاء من مدينة صنعاء القديمة في اليمن، كلها تسببت في غضب وطني ودولي. ولا تمثل قدرتنا على حماية مواقع التراث العالمي فقط تحدياً مستمراً، ولكن أيضاً فهمنا لسبب حمايتها.

في المدن التي تعاني من نزاع طويل وخطير، تتعرض الأماكن العادية في الحياة المدنية للهجوم المتعمد. وتشير التقارير الصادرة عن الأمم المتحدة والبنك الدولي إلى أضرار جسيمة للأحياء السكنية في سوريا والعراق: في حمص، تم تدمير أكثر من 50% من الأحياء بشكل كبير، وفي الموصل، معظم المواقع المدمرة هي الأماكن السكنية، وخاصة في المدينة القديمة. يشار إليها أحياناً باسم دوميسايد، وهذا التدمير المتعمد للمنازل سيكون له تداعيات ديموغرافية بعيدة في المستقبل لإعادة بناء هذه المدن.

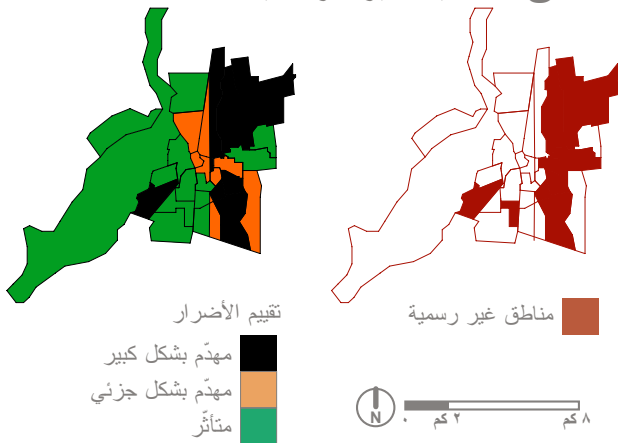
رغبة من استفادتهم من الفرص الجديدة المربحة، قد يستفيد المستثمرون الأجانب من المدن التي دمرتها الحروب والقيادة المحلية الضعيفة غير القادرة على مقاومة التدخلات الجيوسياسية في شكل تطور كبير. قد يبدأ التخطيط وحتى البناء قبل توقف القتال ويخضع أيضاً لصراعات متكررة / غير متكررة. وغالباً ما تعتبر المصالح الاقتصادية الهائلة، الخاصة والحكومية، الدمار الناتج عن الحرب فرصة للتنمية الجديدة؛ وهكذا، وفي صيغة مميّنة، يمكن أن يعني زيادة الدمار خلق فرصة اقتصادية هائلة.

يجب تحقيق التوازن بين الحاجة الملحة لإعادة البناء والتخطيط العادل والفعال طويل الأجل قدر الإمكان بأكثر الطرق شمولية وشفافية. قد تؤدي الرغبة في اجتذاب الأموال الدولية إلى إعادة إعمار متسارعة ونتيجة غير جيدة. وفي كثير من الأحيان، لا يعكس التخطيط السريع والبناء على نطاق واسع، اللذين يتم إدارتهما من مسافة بعيدة، الانشقاقات التي تعم المجتمعات التي مزقتها الحروب. وقد تتسبب هذه الممارسة في النهاية إلى اندلاع المزيد من النزاعات، وقد تؤدي القرارات غير المدروسة إلى موجة جديدة من الدمار.

إعادة الإعمار لمن ومن قِبَل من؟

لا ينبغي التقليل من شأن القوة الهائلة لمصالح إعادة التطوير العالمية. غالباً ما تهيمن التحالفات السياسية والاقتصادية على إعادة الإعمار وقد يتم إعادة تأهيل المدينة بشكل انتقائي وفقاً للتكنولوجيا أو الانتماء. ومع ذلك، يمكن إجراء بحث واسع في تحديد من يقوم بعملية إعادة البناء ولمن. وفي أفضل الحالات، تتفاعل مجموعة واسعة من أصحاب المصلحة ويتشاورون فيما بينهم على الأصعدة الدولية والإقليمية والمحلية، بما في ذلك المجموعات المجتمعية والمخططين الحضريين والمعماريين والمهندسين والمانحين والسياسيين والمنظمات غير الحكومية المحلية والدولية والاقتصاديين وعلماء الاجتماع. ويمتلك المشاركون أجنادات وقدرات مختلفة للمشاركة في عملية إعادة الإعمار.

حمص: مقارنة بين تقييم الأضرار والمناطق السكنية غير الرسمية



"الأمر المحزن في حمص هو الانفصال بين أجزائها المختلفة. في طريقي من المنزل إلى العمل، يجب أن أمر في الشوارع المدمرة والمناطق التي لا يوجد فيها أناس. الدمار في أنحاء المدينة يدمرني".

شابة من حمص، سوريا.

عبر عدد من مدن الشرق الأوسط، يمكن ربط أنماط الهجوم والتدمير الناجم عن الحرب باختفاء مناطق سكانية وديموغرافيات معينة. في هذه القطاعات، التي تكون غالباً مناطق حضرية فقيرة، يفر السكان من الدمار ولا يمتلكون سوى القليل من الوسائل للعودة والمطالبة بممتلكاتهم وإعادة بنائها. وبالتالي، قد تتعرض هذه المناطق لإعادة التطوير التي لن تقدم عادة المساعدة والعون للسكان الأصليين.

يمكن استخدام الشروط الأمنية لإخفاء أنماط التدمير وغياب إعادة البناء. في غزة، يُقال إن الحصار الاقتصادي ضروري لمنع تسلل الإرهاب؛ في الوقت نفسه، يوقف استيراد الخرسانة وجميع المواد عدا البدائية، مما يجعل التعافي بعد سنوات من القصف مستحيلًا.

متى يُمكن إعادة الإعمار؟

مسائل إعادة التأهيل البيئية واضحة للعيان. تعد الملكية واحدة من أكبر المشكلات، خاصةً عندما يتم تشريد أعداد كبيرة من الأشخاص وإخلائهم من ممتلكاتهم. في بعض الحالات، يقوم اللاجئون الذين هم في أمس الحاجة إلى السيولة النقدية لبيع الممتلكات بطريقة غير معلنة غير متبعين الإجراءات القانونية الصحيحة. في موستار، حيث تميل الشقق إلى أن تكون مملوكة بشكل فردي، فقد كان من المستحيل في بعض الحالات تتبع أصحابها أو حتى معرفة ما إذا كانوا قد نجوا من الحرب. بعد سنوات من القتال، تبرز المنازل المدمرة والمنهارة عن المنازل التي تم تجديدها، مما أفسد منظر المدينة بأكملها.

من ناحية أخرى، قد تكون إعادة الإعمار سريعة للغاية. مع ازدياد عمليات الإعمار، تغري الدولة المطورين، مما يشير إلى أنهم سيتجاهلون الملكية ولن يتعرضوا لمضايقات تحيد بهم عن الأهداف المحددة. تضطرنا الصراعات الطويلة الأمد مع فترات العنف والهدوء النسبي إلى التشكيك في أهمية مفهوم "ما بعد الصراع". قد لا يتحقق التقدم من حالات الدمار في الحرب إلى إعادة الإعمار في مرحلة ما بعد الصراع بالطريقة المتوقعة. وعلى النقيض من العملية المرغوبة، تم ترميم حلب لتكون عاصمة للثقافة الإسلامية في عام 2006 وبعد أقل من عقد من الزمان أصبحت في حالة خراب بسبب الحرب.

إن عمليات إعادة الإعمار المحلية المسؤولة متواجدة وقائمة ولكن يمكن أن تسهم فقط بصورة قليلة في إعادة الإعمار ما لم تتم بالتعاون مع منظمات أكبر، حيث يشكل هذا التعاون سوابق مهمة. في حمص في عام 2017، قامت جمعية البر الخيرية بتأهيل 214 شقة للعائدين (النازحين خلال الحرب السورية) استناداً منها 1382 شخصاً. قبلت المجموعة المحلية الطلبات المقدمة مباشرة من المقيمين وعملت بالشراكة مع المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين.

في واحدة من أكثر مدن الضفة الغربية الفلسطينية انقساماً وتضرراً، قامت لجنة إعادة تأهيل الخليل بدمج عملية تجديد النسيج التاريخي مع التنمية الاقتصادية والاجتماعية منذ عام 1996 في مبادرة مشتركة بين الحكومة والصعيدين الدولي والمحلي.

تعد الضمانات المحلية / الوطنية / الدولية التي تم تكوينها بعناية أمراً بالغ الأهمية حتى يتم إشراك مواطني المدن بشكل صحيح في إعادة بناء حياتهم ومدنهم، بحيث يسهم كل شريك في هذه الضمانات وفقاً لوسائله الخاصة؛ التباين المتأصل بينهم - التمويل والظروف والاحتياجات المحلية والخبرة والسلطة - لا بد من جمعه مع بعض لإعادة بناء الحياة الحضرية في مواجهة الشكوك الناجمة عن النزاعات الحضرية.



أضرار الحرب وترميمها في موستار

قراءات أخرى

Azzouz, A. (2018) How Syrian architects can rebuild a country in the throes of war. *The Independent*; <https://www.independent.co.uk/life-style/design/syria-civil-war-architecture-rebuilding-cities-design-a8599311.html>

Azzouz, A. (2019) A tale of a Syrian city at war: destruction, resilience and memory in Homs. *City*, 23(1); <https://www.tandfonline.com/doi/full/10.1080/13604813.2019.1575605>

Azzouz, A. (2019) The Role of Local Charities in Reconstructing Syria. Chatham House; <https://syria.chathamhouse.org/research/the-role-of-local-charities-in-reconstructing-syria-1>

Badescu, G. (2017) Post-War Reconstruction in Contested Cities: Comparing Urban Outcomes in Sarajevo and Beirut, in J. Rock-Rokem and C. Boano (eds.) *Urban Geopolitics: Rethinking Planning in Contested Cities*. London: Routledge, pp.17-32.

Badescu, G. (2015) Dwelling in the Post-War City: Urban Reconstruction and Home-Making in Sarajevo, *Revue d'études comparatives Est-Ouest*, 46(4), pp.35-60.

Badescu, G. (2014) City Makers, Urban Reconstruction and Coming to Terms with the Past in Sarajevo, in B. Kotzen and S. Garcia (eds.) *Reconstructing Sarajevo: Negotiating Socio-political Complexity*. London: LSE Cities.

Baillie, B. (2013) Capturing Facades in 'Conflict-Time': Structural Violence and the (Re)construction Vukovar's Churches, *Space and Polity*, 17(3), pp.300-19.

Halkort, M. (2013) Rebuilding Nahr el Bared, *Open Democracy*; <https://www.opendemocracy.net/opensecurity/monika-halkort/rebuilding-nahr-el-bared>

Pullan, W. (2017) Heritage wars – the politics behind the US pulling out of Unesco, *New Statesman*; <https://www.newstatesman.com/2017/10/heritage-wars-politics-behind-us-pulling-out-unesco>

Pullan, W. (2018) Damascus Gate and adjacent areas in the Old City, East and West Jerusalem', Report for ICOMOS Global case study project on recovery and reconstruction; https://issuu.com/icomos/docs/pullan-damascus_gate-icomos_global_c

تصميم الوثيقة (غرافيكس): ليفكوس كيرياكو. الترجمة: شركة لانجسباير

مركز أبحاث النزاعات الحضرية، 2019 ©

نقدم شكراً ممتداً إلى أوف أروب أند بارتنرز إنترناشيونال ليمتد، لندن لما قدموه من دعم. يتم عرض هذه المادة مجاناً للاستخدام الشخصي وغير التجاري، شريطة أن يتم الإقرار بالمصدر. وللاستخدام التجاري أو لأي استخدام آخر، يجب الحصول على إذن كتابي مسبق من مشروع "الصراع في المدن والدولة المتنازع عليها". ولا يجوز بأي حال تعديل هذه المادة أو بيعها أو تاجيرها.

المدير: البروفيسورة ويندي بولان

نائب المدير: د ماكسيميليان ستيبرنرغ

أعضاء البحث: د بريت بيالي، ليفكوس كيرياكو

مركز أبحاث النزاعات الحضرية، جامعة كامبريدج
www.urbanconflicts.arct.cam.ac.uk

كان مشروع "الصراع في المدن والدولة المتنازع عليها" مشروعاً متعدد التخصصات 2013-2007 بقيادة ثلاث جامعات بريطانية - كامبريدج وإكستر وكوينز بلفاست - مع شبكة دولية من الشركاء. تم تمويل المشروع من قبل "برنامج (RES-060-25-0015) المنح الكبيرة" التابع لمجلس البحوث الاقتصادية والاجتماعية في المملكة المتحدة استكشف المشروع كيف تشكلت المدن المقسمة في أوروبا والشرق الأوسط من خلال النزاعات العرقية والدينية والقومية، مع الإشارة بشكل خاص إلى العمارة والمناطق الحضرية كمحيط للأحداث اليومية.

مركز أبحاث النزاعات الحضرية هو مركز متعدد التخصصات تأسس في عام 2013 ومقره في كلية العمارة بجامعة كامبريدج؛ وهو قائم على البحث المسمى "الصراع في المدن والدول المتنازع عليها". وهذا المركز مخصص لإجراء استقصاءات على المدن التي تعاني من نزاعات متطرفة أو معينة، بما في ذلك تلك الناجمة عن الإثنية أو القومية أو الدين أو الطبقة أو العرق. وانطلاقاً من النهج المعماري والمكاني للمدينة، يتمتع المركز بخبرة في فهم العلاقة بين قضايا السياسات والتخطيط وبين الحياة اليومية؛ ويهتم بشكل خاص بدراسة إمكانيات التكيف والتحويلات الحضرية طويلة الأجل. وترتكز أنشطة المركز على أربعة مجالات رئيسية هي: البحث والتشاور والتواصل والتعليم، وذلك مع شبكة دولية من العلماء والممارسين المتعاونين.

الكاتب/ة: ويندي بولان، جامعة كامبريدج؛ وعمار عزوز، أوف أروب أند بارتنرز إنترناشيونال ليمتد، لندن